

حيوية الخطاب الشعري عند السياب

- التناص

- الأسطورة

- الترميز

وكان علينا أن نبحث عن نماذج شعرية محدودة الطول تتجلى فيها هذه التقنيات، باعتبارها مكونات البنية النصية المشعة في بقية عناصرها المتشابهة، وأن نلاحظ دائماً تداخلها البنيوي في تكوين نسيج التعبير.

فعمليات الترجيع مثلاً لا تقتصر على مستوى الإيقاعات الصوتية، عندما يعتصر السياب [كان هذا الفعل من مفضلياته] ما فى الكلمات والجمل من طاقات موسيقية يأخذ فى توزيعها وتنميتها وتمثيل تلاشيها وتآكلها على طريقة المحاكاة ليفجر مكوناتها السحرية، مثل "بابا" فى قصيدة "مرحى غيلان" و "مطر" فى "أنشودة المطر" و "جيكور" فى أغانيه ومرائيه العديدة، وكذلك "هياى، كونغاي، كونغاي" فى قصيدة "من رؤيا فوكاي" وغيرها من عشرات الأعمال التى تركز على محور صوتى يمتل ترجيعة بشكل منتظم البؤرة الإيقاعية والدلالية للنص. كما أن هذا الترجيع يتجسد أيضاً فى بعض الأبنية الصرفية للكلمات التى تدل على المحاكاة، وهى الأفعال المضعفة ثلاثياً ورباعياً مثل "سح" و "تث" و "ضعضع" و "عضعض"، وقد لوحظ أن استخدامهما عند السياب قد اتسم بالتكاثف بدءاً بديوانه "أنشودة المطر"، وقدم أحد الباحثين^(١) جدولاً مفصلاً لها فى دواوين السياب، وجملتها - طبقاً لما ورد عنده - تبلغ ٢٨ فعلاً مضعفاً تكرر بما يربو على ١٥٠ مرة. ويربطها الباحث بمراحل حياته المختلفة؛ إذ تعبّر فى تقديره عن "احتدام الصراع السياسى والاجتماعى" فى الشطر الأول من عمره، وعن "احتراق الجسد النحيل عند مرضه". وأحسب أننا بحاجة إلى تحقيق الظاهرة أسلوبياً أولاً؛ أى التأكد من ارتفاع نسبة هذه الصيغ فى شعر السياب عنها لدى غيره، فإذا ثبت ذلك بالبحث المقارن، وظنى أنه قد يثبت، فإن التفسير الملائم حينئذ ينبغى أن يتعلق بطبيعة النسيج اللغوى والاتجاهات الأسلوبية الغالبة فى شعر السياب، بدلاً من هذه القفزة النوعية الضخمة التى تربط بين ظواهر غير متجانسة مثل وقائع الحياة وصيغ الكلمات؛ خاصة عندما تتناقض هذه الوقائع وتظل الصيغ هى ذاتها فى كل

(١) انظر: عبدالكريم حسن: المصدر السابق ص ٤٦/٤١.